

رسالة في النبوة و الإمامة



آية الله العظمى السيد رضا حسيني نسب



المقدمة

الهدف من تدوين هذه الرسالة الموجزة هو تبين
مقام الإمامة و توضيح حقيقتها و إثبات رفعة هذا
المقام على مقامي النبوة و الرسالة.
قبل الشروع في معالم هذا البحث، لابدّ من بيان
المعنى الدقيق للعناوين التالية لورودها في القرآن
الكريم والروايات الشريفة :

1. «النبوة».

2. «الرسالة».

3. «الإمامة».

ثمّ نلقي الضوء على العلاقة بين هذه العناوين و
نثبت رفعة مقام الإمامة على النبوة والرسالة.

مقام النبوة

لفظ «النبِيّ» مشتقّ من مادّة «نبا»⁽¹⁾ ، والنبأ هو الخبر المهمّ ، وعليه فمعنى «النبِيّ» هو الحامل للخبر المهمّ أو المخبر به . ويطلق النبيّ في الاصطلاح القرآني على الإنسان الذي يتلقّى الوحي عن الله عزّوجلّ ، فيخبر الناس عن الله من دون واسطة أخرى من البشر ، ولهذا فقد عرف العلماء النبيّ بما يلي :

«هو الذي يؤدّي عن الله تعالى بلا واسطة من البشر»⁽²⁾

(1) قال الجوهري : النَّبِيُّ : الْمُخْبِرُ عَنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ، مَكِّيَّةٌ ، لِأَنَّهُ أَتَى عَنْهُ ، وَهُوَ فَعِيلٌ مَعْنَى فَاعِلٍ . وَفِي النِّهَايَةِ : فَعِيلٌ مَعْنَى فَاعِلٍ لِلْمِبَالِغَةِ مِنَ النَّبَاِ ؛ الْحَبْرُ ، لِأَنَّهُ أَتَى عَنِ اللَّهِ ؛ أَيْ أَخْبَرَ . قَالَ : وَيَجُوزُ فِيهِ تَحْقِيقُ الْهَمْزِ وَتَخْفِيفُهُ (لسان العرب : 1 / 162 / نبأ) .

(2) التبيان للشيخ الطوسي ، ج 4 ، ص 474 . النكت الاعتقادية للشيخ المفيد ، ص 34 . روضة الواعظين ، ص 49 .

فعلى هذا الأساس تكون وظيفة النبيّ مشخّصة ومحدّدة في هذا الإطار ; وهو تلقّي الوحي من السماء ، وإبلاغ الناس ما أوحى إليه ، ولهذا فإن القرآن الكريم يقول في هذا المضمّار :

(فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)⁽³⁾ .

النبوة العامّة

مبحث النبوة يشتمل على موضوعين :
الموضوع الأول: هو البحث عن معالم النبوة بشكل عامّ وإثبات الحاجة إلى النبي و بيان ميزات الأنبياء و صفاتهم الخاصة.
أما الموضوع الثاني فهو البحث عن نبوة نبينا محمّد ابن عبدالله - صلّى الله عليه و آله - و إثبات نبوته بشكل خاص و بيان صفاته و معجزاته الباهرة.

(3) البقرة : 213 .

و القسم الأول يسمى بمباحث النبوة العامة ، و الثاني بمباحث النبوة الخاصة.

و من المباحث التي تطرح في الموضوع الأول هو الحاجة إلى وجود النبي السماوي في المجتمع البشري. فنقول:

إنّ الإنسان يتميّز عن غيره بميزة المعرفة و إدراك الحقائق ؛ لكنّه رغم تطوّره في العلم و معرفة العالم، يعاني من الجهل بالقضايا الأساسية و المسائل المصيرية ، و لا يعرف أسرار نفسه و رموز الحياة و لغز الخلق.

قد عرف الإنسان كثيرا من معالم جسمه و نفسه ، لكنّه مع فرض انفصاله عن مدرسة الوحي الإلهي ، لا يعرف أنّه من أين جاء و إلى أين يذهب و لماذا أتى إلى هذا العالم .

و قد استطاع العلم البشري أن يكشف لنا جريان خلق الكون من زمان الانفجار العظيم (Big Bang) ، الذي أدّى إلى خلق العالم الجسماني ؛ لكنّه

لا يدرك ماذا كان هناك قبل ذلك، و ماذا سيكون بعد
نهاية العالم و انهيار هذا الصرح الجسماني.
و على هذا الأساس ، يكون الإنسان ناقصا في العلم
و المعرفة و يحتاج إلى مصدر من العلم الغير
المتناهي ، ليجد الجواب عن أسئلته الأساسية حول
المبدء و المعاد و طريق السعادة الحقيقية. و هذا
المصدر اللامتناهي هو الشريعة الإلهية ، التي توصل
الإنسان إلى ماء الحياة الطيبة و السعادة الخالدة.

مميزات الأنبياء

حيث أنّ الأنبياء هم حَمَلَة الأمانة الألهية و حلقة
الوصل بين سماء اللاهوت و أرض الناسوت ، فيجب
أن يكونوا متّصّفين بصفات خاصّة و متميّزين عن
غيرهم بمميزات أساسية ، و ذلك لأهمّية رسالتهم و
ثقل مسئوليتهم تجاه الخالق و الخلق.

و قد ذكر علماء الكلام تلك الخصوصيات في كتبهم
المفصّلة ، و أبرزها هي التالية :

- العصمة.

- المعجزة.

أما العصمة فهي بمعنى التجنّب عن المعصية. و
الدليل على وجوب عصمة الأنبياء هو أنّ النبيّ مأمور
بهداية الناس من الضلال إلى الهدى و من المعصية
إلى طاعة الله ؛ و هو في هذا المقام قدوة لأتباعه و
أسوة لمن تمسّك بشريعته . فلو ارتكب الذنوب و
توغّل في المعاصي ، لاتبقى لمن تبعه ثقة بكلامه و
عمله ، و ينحطّ قدره من موقع الزعامة الروحية و قمة
الكمال المعنوي إلى حضيض السقوط في ارتكاب
المناهي. و هذا يخالف الهدف الأسمى من بعث
الأنبياء لهداية الناس.

و البرهان العقلي الآخر الذي يدلّ على وجوب عصمة
الأنبياء هو أنّه لو جاز لهم ارتكاب الخطأ و العصيان ،
فكلّ شئ يقع منهم من قول أو فعل ، يحتمل أن

يكون خطأ و باطلا ؛ فلا يجب اتّباعهم في ذلك. و هذا الأمر أيضا ينافي فلسفة النبوة و حكمة البعثة. أما المعجزة ، فهي ما يعجز البشر عن مجاراته و الإتيان بمثله، و هي حجة الأنبياء و دليلهم على صحّة مدّعاهم و صدق كلامهم.

النبوة الخاصّة

و لتوضيح الموضوع الثاني ، يجب الاهتمام ببيان عدّة نقاط، و من أهمّها الإتيان بالدليل على نبوة النبي الأعظم - صلى الله عليه و آله و سلّم - و بيان عصمته.

أمّا الدليل على نبوة خاتم الأنبياء محمد ابن عبد الله (صلى الله عليه و آله) فهو صدور المعجزات عنه ، و على رأسها معجزته الخالدة و هي القرآن الحكيم. و لأجل هذا ، نحن نركّز على تبين هذه الحقيقة و إثبات أنّ القرآن معجزة خالدة.

استدلّ علماء الإسلام على أنّ القرآن معجزة الهية بأدلة كثيرة و براهين رصينة و نحن نذكر نموذجا منها:

الدليل البارز على ذلك هو أنّ القرآن قد تحدّأ المعارضين من الكفّار بإتيان كتاب من مثله في البلاغة و الفصاحة و الإتقان العلمي ، و قال :

"قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" (الاسراء ، 88).

ثمّ تحدّأهم بأن يأتوا بعشر سور مثل القرآن و قال :

"أَمْ يَقُولُونَ افْتَرِيَهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَةٍ وَاذْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (هود ، 13).

فلمّا لم يقدرُوا على ذلك ، تحدّأهم بأن يأتوا بسورة واحدة من مثله و قال :

"وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (البقرة 2: 23).

و لما نكصوا و ظهر عجزهم عن مجاراته طول التاريخ،
علمنا أنّ ذلك معجزة الهية لا يقدر على الإتيان بمثلها
البشر ، و هو كتاب الله النازل من ربّ العالمين لهداية
الإنسان إلى السعادة الأبدية.

مقام الرسالة

يطلق مصطلح الرسول في قاموس الوحي على النبي الذي عليه مسؤوليتان ; تلقي الوحي من السماء وإبلاغ الناس به ، و مسؤولية تبليغ الرسالة الإلهية الملقاة على عاتقه إلى الناس . يقول القرآن الكريم في هذا المضمار :

(قَالَ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَي رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُثِينُ) (4) .

وبهذا يتضح أنّ مقام الرسول غير مقام النبي ، وأنّ الرسالة مقام يمنح للنبي . وبعبارة أخرى : أنّ النبوة والرسالة عنوانان يشيران إلى خصوصيات الأنبياء ، فالنبوة باعتبار أنّ النبي حامل للأنباء والأخبار عن الله عزّوجلّ ، والرسالة باعتبار أنّ النبي مبلّغ للرسالة الإلهية .

(4) المائة : 92 .

فستنتج من مجموع ما ذكر أنّ مهمّة الأنبياء والمرسلين هي بيان الأحكام من الحلال والحرام وهداية الناس إلى طريق السعادة ، وليس لهم مهمّة غير إخبار الناس و إبلاغ الرسالة .

مقام الإمامة

الإمامة هي قيادة الأمة في حركتها الفكرية و الاجتماعية و السياسية، و زعامة الناس في السير إلى الله و سعادة الإنسان في أمر الدنيا و الآخرة. فمقام الإمامة أيضا يقتضي توقّر شروط لا بدّ من وجودها في الإمام و القائد الإلهي.

و على أساس تلك الشروط، يجب أن يكون الإمام معصوما و منصوبا عليه بالخلافة و أعلم الناس في زمان إمامته.

أما الدليل على وجوب العصمة للأمام فهو نفس الدليل الذي ذكرناه على ضرورة عصمة الأنبياء.

أما لزوم النصّ على إمامته من الله و رسوله ، فلأنّ مقام العصمة أمر لا يكشف عنه إلا الله ، الذي هو علام الغيوب و نبيّه الكريم الذي يوحى إليه من ربّ العزّة و الجلال ؛ فلا بدّ من إشعار من الله أو رسوله

ليعلم الناس من هو متّصف بميزة العصمة ، و بالتالي، يكون أماما للامة.

أما ضرورة الأعلمية للإمام، فلأنّه قائد الامّة إلى شاطئ الهداية ، و رائد سفينة النجاة إلى برّ الأمان. فيجب أن يكون أعلم الناس بسبل الفلاح و النجاح ، و أفقه أبناء الامّة بطرق السعادة و الكمال.

مقام الإمامة من وجهة نظر القرآن

مقام الإمامة في النظرة القرآنيّة غير مقامي النبوة والرسالة ، ومقام الإمامة يلازم منح الصلاحيّات الكثيرة للإمام لأجل قيادة و إدارة شئون الأمّة . وإليك فيما يلي الأدلّة الواضحة على ما ذكرناه من خلال الآيات الشريفة :

1- ذكر القرآن الكريم في شأن منح إبراهيم الخليل(عليه السلام) مقام الإمامة :

(وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)⁽⁵⁾ .

فالأية الكريمة تبين أمرين :

أ - تدلّ الآية بوضوح على مغايرة الإمامة لمفهومي النبوة والرسالة ; وذلك أنّ إبراهيم(عليه السلام) كان نبياً قبل جعله إماماً بسنين كثيرة ، ومراً بامتحانات عسيرة ، منها عزمه على ذبح ولده إسماعيل(عليه السلام) . والدليل على أنّ إبراهيم(عليه السلام) كان نبياً قبل جعله إماماً هو :

إننا نعلم أنّ إبراهيم (عليه السلام) لم يكن له ولد ، وإنما رزق إسماعيل وإسحاق(عليهما السلام) في سنّ الكهولة من عمره ، فالقرآن الكريم يقول عن لسان إبراهيم :

(اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَيَّ الْكِبَرَ اِسْمَاعِيْلَ وَ اِسْحٰقَ)⁽⁶⁾ .

(5) البقرة : 124 .

فمن هنا يعلم أنّ امتحان إبراهيم(عليه السلام) بذبح إسماعيل(عليه السلام)-والذي كان بعد مروره بامتحانات عسيرة أخرى - هو الذي هيّاه لمقام الإمامة ، وقد نال مقام الإمامة في أواخر أيام حياته(عليه السلام) ، مع أنّه كان نبياً قبل ذلك بسنين متطاولة ؛ حيث أوحى إليه قبل أن يرزق ذرية ، والوحي علامة النبوة⁽⁷⁾ .

ب - يستفاد من قوله تعالى : (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) أنّ مقام الإمامة الإلهية وقيادة الأمة في مرتبة أعلى وأرفع من مرتبة النبوة والرسالة ؛ فإنّ القرآن الكريم يصرّح بأن إبراهيم(عليه السلام) نال هذا المقام بعد أن كان رسولاً نبياً وبعد أن ابتُلي ببلايا شديدة وامتحانات صعبة ، وخرج منها مرفوع الرأس ، مُنح له مقام الإمامة ، وسبب ذلك واضح وهو أنّ مقام

(6) إبراهيم : 39 .

(7) أنظر في ذلك الآيات 99 — 102 من سورة الصافات ، والآية 53 و 54 من سورة الحجر ، والآية 70 و 71 من سورة هود .

الإمامة أرفع من مقام النبوة والرسالة ; فإنّ من وظائف مقام الإمامة مضافاً إلى تلقّي الوحي وتبليغ الرسالة هو قيادة الأمة ، وإدارة شؤونهم بنحو صحيح في طريق الهداية لأجل إيصالهم إلى الكمال والسعادة ، ومن الواضح أنّ هذا المقام مقام جليل رفيع ، ولا يناله أحد إلاّ بعد المرور بامتحانات عسيرة ومنتالية .

2 - يتّضح من الآية المتقدّمة أنّ إبراهيم (عليه السلام) بعد أن نال مقام الإمامة الإلهية وقيادة الأمة بعد تلك الامتحانات طلب من الله عزّوجلّ أن يجعل هذا المقام والمنصب في ذريته . ومن الآيات الأخرى الواردة في الكتاب الحكيم يتبيّن أنّ الله قد استجاب دعاء وطلب إبراهيم(عليه السلام) ، وأنّه جعل الإمامة في صالحه نسله وذريته ، فقال تعالى :

(فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)⁽⁸⁾ .

(8) النساء : 54 .

فيستفاد من الآية أنّ مقام الإمامة وقيادة الأمة غير مقام النبوة والرسالة ، وأنّ الله منح هذا المقام خليه إبراهيم(عليه السلام) بعد ابتلائه بامتحانات عسيرة ، فعندها طلب خليل الرحمن من ربّ العزة أن يبقي الإمامة وقيادة الأمة في ذريته ، فأبقى الله هذا المقام في صالح ذريته ، فأعطاهم (الكتاب وَ الْحِكْمَةَ) وهو رمز النبوة والرسالة ، (وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) وهو مقام الإمامة وقيادة الأمة وزعامة الناس ، وبهذا فقد لبّى طلب إبراهيم(عليه السلام) ، ولهذا نجد أنّ بعض ذريته - كيوسف ، وداود ، وسليمان - كانوا قادة للأمة وأئمة مضافاً إلى كونهم أنبياء .

وبهذا يتّضح أنّ مقام الإمامة غير مقام النبوة والرسالة . ولأهميّة مقام الإمامة وسعة الصلاحيّات المعطاة للإمام فإن مقام الإمامة أرفع من مقام النبوة .

رفعة منزلة الإمامة

أتضح من البيانات السابقة أنّ مهمّة النبيّ والرسول - باعتبارهم أنبياء ورسول - هي إيضاح طريق الحقّ والهداية للناس ، ومتى ما نال النبيّ أو الرسول مقام الإمامة تحمّل عبء مسؤوليّة أكبر ، وبالتالي تحمّل أعباء مسؤوليّة تحقيق الأهداف السماوية ، وتطبيق الأحكام الشرعيّة ، لتحقيق مجتمع سعيد ومثالي ، ويقود الأمة في طريق يضمن لها فيه سعادة الدارين ؛ الدنيا والآخرة .

ومن الواضح أنّ تحمّل مسؤوليّة خطيرة كهذه بحاجة إلى مؤهّلات خاصّة ، وقدرة معنوية فائقة ، واستعداد على مستوى رفيع ، فإن القيام بهذه المهمّة الصعبة يلزم مواجهة المشاكل الكثيرة ، ويحتاج إلى مقاومة الأهواء ، والصبر على الأذى في سبيل الله سبحانه ، ولا يمكن تحقّقها من دون وجود المحبّة الإلهيّة في القلب ، والفناء في ساحة رضاه تقدّست أسماؤه .

ومن هنا فإنّ الله سبحانه لم يمنح إبراهيم (عليه السلام) هذا المقام إلّا بعد امتحانه الشديد ، وابتلائه المتتالي ، وفي آخر سنين عمره الشريف . ولهذا فلم يتزَيَّن بهذا المقام إلّا عباد الله المخلصين ، كنبينا الأكرم(صلى الله عليه وآله) ، ولم تودع قيادة الأمة إلّا إلى هؤلاء .

هل يوجد تلازم بين النبوة والإمامة ؟

يطرح السؤال التالي نفسه وهو أنّ النبيّ الذي وصل إلى مقام النبوة هل يجب أن يكون إماماً ؟ والإمام الذي وصل إلى مقام الإمامة هل يجب أن يكون نبياً ؟ وجواب هذا السؤال بكلا شطريه هو النفي . وإليك فيما يلي توضيح الجواب من خلال آيات الكتاب العزيز .

فيتّضح من الآيات النازلة في بيان قتال طالوت وجالوت أنّ الله سبحانه وتعالى جعل النبوة بعد

موسى(عليه السلام) في رجل اسمه
«اشموئيل» ، مع أنّ مقام الإمامة وقيادة الأمة كانت
في عاتق طالوت ، وإليك تفصيل الكلام :

بعد رحيل النبيّ موسى(صلى الله عليه وآله) قال
طائفة من بني إسرائيل لنبيّ زمانهم :

(اِبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)⁽⁹⁾ .

فقال لهم نبيّهم :

(وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ
مِنْهُ وَ لَمْ يَأْتِ سَعَةً مِنْ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ
عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي
مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)⁽¹⁰⁾ .

فيستفاد من الآية المذكورة ما يلي :

1 - من الممكن أن توجب المصلحة انفكاك النبوة عن
الإمامة وقيادة الأمة ، فتكون النبوة في شخص ،

(9) البقرة : 246 .

(10) البقرة : 247 .

والإمامة وقيادة الأمة في شخص آخر ، وكلاهما في زمان واحد ، وكلّ منهما يليق بمنصبه . ولم يعترض بنو إسرائيل على تفكيك أحد هذين المنصبين عن الآخر ; بأن يقولوا : أيّها النبيّ أنت أولى وأليق بمقام الإمامة وقيادة الأمة . وإنما قالوا في مقام الاعتراض : نحن أولى وأليق منه بمقام القيادة .

2- إنّ المقام الذي حازه طالوت كان من عند الله وبفضل الله سبحانه ، وذلك قوله :
(إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِيًّا) .
وقال أيضاً :
(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ) .

3- إنّ منصب ومقام طالوت لم يكن منحصرأ في قيادة الجيش ، بل كان قائداً لبني اسرائيل ، وذلك بشهادة قوله تعالى : (مَلِيًّا) ، وإن كان الهدف الرئيسي من قيادة بني إسرائيل هو قيادتهم للجهاد في سبيل

الله ، ولكن منصبه الإلهي كان يسمح ويجيز له أن يتصرّف بما يليق بالحكومة بشهادة آخر الآية وهو قوله تعالى :

(وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ).

4- إنّ أهم شرط من شرائط الإمامة والقيادة هو العلم الواسع ، والقدرة في الجسم ، والمؤهلات المعنوية . وخصوصاً للقيادة في ذلك الزمان الذين كانوا يقودون الجيوش ، ويجاهدون معهم⁽¹¹⁾.

فاستبان مما مرّ أنّه لا تلازم بين النبوة والإمامة ، وأنّه يمكن انفصالهما فتكون النبوة في شخص ولا يكون إماماً وقائداً للأمة ، أو أن تكون الإمامة الإلهية وقيادة الأمة في شخص ولا يكون نبياً . ويمكن أن يجتمع المقامان في شخص واحد له أهلية كلا المقامين ، كما يقول تعالى :

(11) اقتباس من كتاب «منشور جاويدان» للشيخ السبحاني .

(فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ
الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ)⁽¹²⁾.

(12) البقرة : 251 .

من هو إمام زماننا ؟

اتفق علماء الإسلام على أن النبي الأعظم (ص)
حثّ المسلمين على معرفة إمام زمانهم في روايات
كثيرة، كما قال:

"من مات و ليس له امام مات ميتة جاهليه".

و قال أيضا:

"من مات و لم يعرف امام زمانه، فليمت ان شاء يهوديا و
ان شاء نصرانيا".

و قال أيضا:

"من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية".

هذا حديث متواتر نقله أكابر المدرستين الإسلاميتين
(من أهل السنّة و الشية).

و قد روى هذه الأحاديث الشريفة كثير من المحدثين
المسلمين من الفريقين، و نحن نذكر بعضا من
مسانيدها على سبيل المثال:

- المسند، لأحمد ابن حنبل، المجلد 28.
- مجمع الزوائد، للهيثمي، المجلد
الخامس.

- المسند، لأبي يعلى الموصلي، المجلد
13.

- الرسائل العشر، للشيخ الطوسي.
- اليقين، للسيد ابن طاووس.
- مجمع الفائدة، للمحقق الأردبيلي،
المجلد 12.

- الإفصاح، للشيخ المفيد.
- الصوارم الهرقة، للشيخ نورالله
التستري.

- منهاج الكرامة، للعلامة الحلبي.
- المراجعات، للسيد شرف الدين.

و من هنا يطرح سؤال مهمّ و هو أنّه: من هو إمام
زماننا في هذا العصر لكي نعرفه و تكون حياتنا طيبة
و لانموت ميتة الجاهليّة؟

في جواب هذا السؤال، لا يوجد كلام أجلى و أوضح من رأي الشيعة الإمامية، الذين يعتقدون بأنّ إمام زماننا هو الإمام المهدي المنتظر، الذي وعدنا النبيّ الأعظم بأنّه يملأ الأرض قسطاً و عدلاً، كما مُلأت ظلماً و جوراً.

فنحمد الله تعالى على هذه النعمة الكبرى و نشكره على أنّه هدانا إلى الصراط المستقيم و نقول:
انّ خصوصيّات هذا الإمام المعصوم على ضوء السنّة النبويّة الشريفة - حسب ما شرحنا في كتابنا "الشيعة تجيب" - هي كالتالي:

الإمام المهدي المنتظر (ع) هو الخليفة الثاني عشر للنبي الأعظم (ص) و هو من آل رسول الله و هو ابن الإمام الحسن العسكري (ع)، و هو الذي ينقذ العالم من الظلم و العدوان.

و ممّا اتّفتحت عليه الشرائع السماوية هو مجيء المصلح العالمي في آخر الزمان ، وهذا ما يعتقد به النصارى واليهود فضلاً عن المسلمين، والجميع في

حال انتظار هذا العادل الذي سيملاً الأرض عدلاً .
وبمراجعة كتب العهد القديم والعهد الجديد تتضح
هذه الحقيقة بشكل أكثر . (راجع كتب العهد القديم
و هي : مزامير داود (عليه السلام) ، المزمور 96 و
97 ، وكتاب النبيّ دانيال - عليه السلام - ، الباب
(12).

وفي هذا المضمرة روى المحدثون عن النبيّ (صلى
الله عليه وآله) قوله:

«لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل
بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً». (راجع سنن أبي
داود ، ج 2 ، ص 310 ، ح 4283 . ينابيع المودة ، ص
432 . نور الأبصار ، الباب 2 ، ص 154).

فهذا المصلح العالمي هو الذي ينتظره الجميع مما
اتّفقت عليه الأديان المختلفة - كما مرّت الإشارة
إليه - و وردت فيه روايات كثيرة من طرق الفريقين بل
في صحاح ومسانيد أهل السنة روايات كثيرة في

حقه، وقد حرر جملة من المؤلّفين والمحقّقين كتباً
ورسائل كثيرة تعنى به.

و من هذه الكتب : البيان في أخبار صاحب الزمان ،
تأليف : محمد بن يوسف الكنجي الشافعي .
والبرهان في علامات مهديّ آخر الزمان ، تأليف :
عليّ بن حسام الدين المعروف بالمتقي الهندي .
والمهديّ والمهدوية ، تأليف : أحمد أمين .

و أما علماء الشيعة فلهم تأليفات كثيرة في هذا
المجال يعسر احصاؤها وعدّها ، ككتاب الملاحم
والفتن و غيره.

وقد ذكرت هذه الروايات أوصافه بنحو واضح، بحيث
تنطبق بدقّة على الثاني عشر من أئمة أهل البيت
وهو الإمام المهدي ابن الإمام الحسن
العسكري. (راجع ينابيع المودة ، الباب 76 ، في
المناقب المرويّة عن جابر بن عبد الله .) ، ففي هذه
الروايات أنّ اسمه كاسم النبيّ (صلى الله عليه

وآله) ، و أنّه الوصي الثاني عشر ، و أنّه من ذرية الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) . هذا ، وقد ولد المهدي (عليه السلام) في السنة 255 بعد الهجرة ، ولا زال حيّاً. علماً أنّ طول عمره بهذا المقدار لا ينافي شيئاً مما ثبت علمياً ، ولا شيئاً مما ثبت بالنقل . بل يحاول العلم في يومنا هذا إطالة العمر الطبيعي للإنسان ، ويرى أنّه ممكن إذا ما أمكن الحدّ من تأثير بعض العوامل الدخيلة في إلحاق الضرر بالانسان .

ومن جانب آخر فقد ذكر التأريخ أسماء جملة من المعمّرين ، بل إنّ القرآن الكريم صرّح بذلك حيث قال في شأن نوح(ع) :

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَايَتْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا". سورة العنكبوت : 14

وقال في شأن يونس (عليه السلام) :

"فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَّيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ". سورة الصافات : 143 و 144

كما أنّ الخضر و عيسى (عليهما السلام) - من خلال
الرؤية القرآنيّة - أحياء فعلاً ، بل عليه اتّفاق جميع
المسلمين .
